الفصل الثاني

الإطاري النظري

أ. المبحث الأول: ترجمة عن الخنساء

١. حياتها ونشأتها

كانت الخنساء شاعرة جاهليّة معروفة في العصر الجاهليّ وعصر صدر الإسلام ويُسمّى بالشاعر المخضرم. وهي تعدّ من الطّبقة الثّانية في الشعر. واسمها الأصل هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة (وقيلت نهيات) بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر.[١] والخنساء لقب عليها، وفيها يقول دريد بن الصمة.[٢] والخنساء لقبها المشهورة في دوائر شعراء العرب في العصرين وهما العصر الجاهليّ وعصر صدر الإسلام. الخنساء مصدر من كلمة خَنِسَ- يَخْنَسُ ومعنا تأخر أنفه عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة.[٣] وأمّا كلمة الخنساء فمعناها البقرة الوحشية، مضرب المثل في جمال العيون وكملها.[٤]

كانت الخنساء- وهي تماضر بنت عمرو الشريد- من بني سليم الذين سكنوا شمالي الحجاز ممّا يلي نجدا. وأبرز الأحداث في حياة الخنساء مقتل أخويها معاوية وصخر، فأخذت برثائهما وبالبكاء عليها حتى عميت. وسبب حزنها الشديد

---

[١] عبد السلام الحوفي، *شرح ديوان الخنساء*، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م)، ص. ٥.

[٢] يوسف على طويل ، *الأغاني*، (بيروت-لبانن: دار الكتب العلمية، الجزء الخامس عشر، ١٩٩٢ م)، ص. ٧٢.

[٣] لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، (بيروت: دار المشرق، الطبعة الحادية والأربعون، ٢٠٠٥ م)، ص. ١٩٧.

[٤] Juwairiyah Dahlan, *Sejarah Sastra Masa Islami*, (Yogyakarta: Percetakan Sumbangsih Yogyakarta, ١٩٩٩), hal. ٩٧.

على أخيها صخر خاصة أنها كانت قد تزوجت رجلا كريما مسرفا فأتلف ماله، فجاءت الخنساء إلى أخيها صخر تشكو له ذلك فقاسمها ماله. وعاد زوجها فأنفق ما جلبته من أخيها. فعادت إلى أخيها مرتين أخرين فقاسمها في كل مرة منهما ما كان قد بقي معه في كل مرة.[٥]

هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد، والخنساء لقب غلب عليها، لقبت به تشبيها لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها؛ خطبها دريد بن الصِّمَّة فارس هوازن و سيد بني خشم فردّته لكبر سنّة، فهجاها، فلم تردّ عليه، فسئلت بذلك فأجبت: لا أجمع عليه ان أردّه وأهجوه.[٦]

تزوجت أولا رواحة بن عبد العزيز السُّلمي، وسماه الأغاني والعقد الفريد عبد العزّى، ولعل هذا الاسم الوينيّ كان له قبل إسلامه، فلما أسلم استبدل به اسم رواحة، أو انه كان لقبًا يعرف به فولدت له عبدالله و يكني بأبي شجرة؛ ثم خلف رواحة عليها مرادسُ بن أبي عامر السلمي فولدت له يزيد و معاوية و عمرًا و عمرة.[٧]

و لما ظهر الاسلام أسلمت الخنساء مع قومها بني سُليم وانبعثت مع المسلمين لفتح بلاد فارس و معها أولادها الأربعة، فقُتل أولادها في رقعة القادسية سنة ١٦ هـ (٦٣٨ م) فقالت لما بلغها خبر مقتلهم: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم، و أرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة.[٨]

---

[٥] عمر فروخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، (بيروت: دار للملايين، الجزء الأوّل، ١٩٦٨ م)، ص. ٨٠-٨١.

[٦] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٥.

[٧] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٥.

[٨] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٥-٦.

والخنساء من شواعر العرب المعترف لهنّ بالتقديم؛ أجمع الشعراء و رواة الشعر القدماء على انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها في الرثاء، وعدّوها في الطبقة الثانية.[٩]

قيل سئل جرير من أشعر الناس، فقال: انا لولا هذه الخبيثة، يعني الخنساء، و قال بشار فيها: لم تقل امرأة قط شعرا إلا تبيّن الضعف فيه. فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال.[١٠]

و كانت الخنساء في أول أمرها تقول الشعر و لا تكثر، حتى قتل أخواها معاوية و صخرا فحزنت عليهما حزنا شديدا، وخصوصا على صخر، و كان أحبهما إليها لما كان الحلم و الجود، و التقديم في عشيرته، و الشجاعة، و جمال الوجه؛ ففتّق الحزن أكمام شاعريتها، فنتقت بشعر هو آهات نفس لائعة، و نفثات صدر متألم حزنًا، و دموع قلب جريح.[١١]

و على سذاجة معانيها، و تكرّرها، و مغالاتها في وصف حزنها، و مناقب أخيها صخر، فشعرها محبّب، قريب إلى القلوب، بما فيه من عاطفة صادقة، ملقهة لوعة، و بما فيه من وفاء أخويّ صحيح.[١٢]

عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهليّ، فقد ولدت الخنساء نحو سنة ٥٧٥ م. وأنها نشأت في بيت كريم وعز وشرف وسؤدد، لأن أباها سيّد قومها وهو بني سليم من قبيلة مضر. للخنساء أخوان هما معاوية وصخر. كان معاوية شقيقها وأما صخر أخوها لأبيها.[١٣] فخطبها رواحة بن عبد العزّى السلمي فولدت له عبدالله

---

[٩] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٦.

[١٠] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٦.

[١١] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٦.

[١٢] كرم البستاني، *شعر الخنساء*، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٧٠ م)، ص. ٦-٧.

[١٣] أحمد الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثلاثون، مجهول السنة)، ص. ٣٩٥.

وهو أبو شجرة ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له زيدا ومعاوية و عمرا وهي جاهلية كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبيانيّ وكان النابغة تُضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير ثم أنشده حسّان بن ثابت ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته. [١٤]وقد أجمع رواة الشعر على أنه لم تقم امرأة في العرب قبلها ولابعدها أشعر منها. وقد أنشدت شعرها النابغة في عكاظ، فأعجب به وقال لها: "لولا أن هذا الاعمى أنشدني قبلك (عن الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم" على أن أكثر قولها في رثاء أخيها صخر، ووكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن في أرض سليم.[١٥]

هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية، أرقى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب. كان أبوها عمرو، وأخواها: معاوية وصخر، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه، وآثرت التزوّج في قومها فتزوجت منهم. وكانت تقول المقطّعات من الشعر فلما قُتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر، جزعت عليها جزعا شديدا، وبكتهما بكاء مرّا، وكان أشد وجدها على صخر: لأنه شاطرها هي وزوجها أموالها مرارا ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول هيه يا خناس، ويومئ بيده.[١٦]

تحبّ الخنساء إلى أخويها وكذلك هما يحبّان إليها كثيرا. وهم يسكنون في الشّمالي الحجاز من أهل بجدا. وكانت الخنساء من أجمل نساء في زمنها ولقبت أيضا

---

[١٤] ابي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، (بيروت– لبنان: دار احياء العلوم، الطبعة الرابعة، ١٩٩١ م)، ص. ٢١٨.

[١٥] يوسف ومحمد الباقعي، *تاريخ اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الجزء الاوّل، ١٩٩٦ م)، ص. ١٥٦

[١٦] أحمد بن إبراهيم الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م)، ص. ٢٨٩.

لجملها وذكيّتها. لذا خطبها دريد بن الصّمة سيّد بني جشم إلى أبيها، ولكن رفضت الخنساء خطبته لأنّها تفضل أن تتزوّج مع الرّجل من قبيلتها يعني بني سليم.[١٧] وإنّها لاتريد أن تترك قبيلتها ومدينتها لتنتقل إلى بني جشم. وهي تتزوّج مرّتين، زوجها الأوّل هو رواحة بن عبد العزيز السّلميّ وفي كتاب الشعر والشعراء لإبن قتيبة إنّ اسم زوجها رواحة بن عبد العزّ السّلّمي.[١٨] فولدت له إبنا هو عبدالله وعرف بأبي شجرة. وأمّا زوجها الثّاني هو مرداس احد شاعر من شعراء المشهور في العرب.

تغيّرت حياة الخنساء حين برزت الأحداث في مقتل أخويها معاوية وصخر في الجاهليّة. كان معاوية بن الشريد السلمي مات في الحرب يقاوم هاشم بن حرملة من بنى مرّة وفزارة. وأمّا أخوها صخر ممات في إحدى المعارك لينتقم في موت أخيها معاوية. جزعت الخنساء حزنا شديدا بكاء غزيرا حتّى عميت عينيها.[١٩]

تتفق الروايات على أن الصحابية الجليلة الخنساء التي ضربت المثل في الجمال والبلاغة وسيادتها في قومها، وأثارت فضول شعراء العرب، لم تكن سوى واحدة من أحزن النساء اللواتي مررن على التاريخ، وبرغم أن الخنساء شخصية أدبية وتاريخية عظيمة، وبالرغم من أن «الفكر المتشدد» قد سعى إلى إخفاء كثير من معالم حياتها الاجتماعية والأدبية التي لا تتناسب مع هيمنته وقمعه المرأة بدواعي «الكرامة» إلا أن لحزن الخنساء النصيب الأكبر في البقاء التاريخي.[٢٠]

---

[١٧] Burhan Djamaluddin, *Kesusasteraan Arab Jahiliyyah*, (Surabaya: IAIN Sunan Ampel Press, Cetakan I, ١٩٩٩), hal. ٢٣.

[١٨] أحمد محمد شاكر، *الشعر والشعراء لابن قتيبة*، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦ م)، ص. ٣٣٢.

[١٩] علي مهنا وعلي نعيم خريس، *مشاهير الشعراء والأدباء*، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة)، ص. ٨٩.

[٢٠] سهام الطويري، *الخنساء.. حاسرة الرأس عند الكعبة*، http://www.alsharq.net.sa/٢٠١٣/٠٣/٢٠/٧٧٠٦٤٧، ٢٥ – ١١-٢٠١٣.

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم، وأعلنت إسلامها وإيمانها لعقيدة التوحيد...وحسن إسلامها حتى أصبحت رمزا متألقا من رموز البسالة، وعزة النفس، وعنوانا للأمومة المسلمة المشرفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشدها ويعجبه شعرها... وكانت تنشده وهو يقول :هيه يا خناس – وهو يومي بيده) . وعندما أخذ المسلمون يحشدون جندهم ويعدون عدتهم زحفا إلى القادسية، كل قبيلة تزحف تحت علمها مسارعة إلى تلبية الجهاد كانت الخنساء مع أبنائها الأربعة تزحف مع الزاحفين للقاء الفرس وفي خيمة من آلاف الخيام،جمعت الخنساء بنيها الأربعة لتلقي إليهم بوصيتها فقالت: يا بني أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعده الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى :يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. (فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم متبصرين بالله على أعدائه منتصرين. فلما أشرق الصبح واصطفت الكتائب وتلاقى الفريقان[٢١].

مقتل أخويها معاوية وصخر واستشهاد أولادها الأربعة: قتل معاوية على يد هاشم ودريد ابنا حرملة يوم حوزة الأول سنة ٦١٢م ،فحرضت الخنساء أخاها صخر بالأخذ بثأر أخيه، ثم قام صخر بقتل دريد قاتل أخيه. ولكن صخر أصيب بطعنة دام إثرها حولا كاملا، وكان ذلك في يوم كلاب سنة ٦١٥ م. فبكت الخنساء على أخيها صخر قبل الإسلام وبعده حتى عميت. وفي الإسلام حرضت الخنساء أبناءها الأربعة على الجهاد وقد رافقتهم مع الجيش زمن عمر بن الخطاب، وهي

[٢١] عبدالله العاشق، *الخنساء بنت عمرو*، ٦٤٥ http://majdah.maktoob.com/vb/majdah، ٢٥- ١١-٢٠١٣ .

تقول لهم : ((يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل :يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .(فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فأعدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام حميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة، وأصغى أبناؤها إلى كلامها، فذهبوا إلى القتال واستشهدوا جميعا، في موقعة القادسية. وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها لم تجزع ولم تبك، ولكنها صبرت، فقالت قولتها المشهورة: ((الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)). ولم تحزن عليهم كحزنها على أخيها صخر، وهذا من أثر الإسلام في النفوس المؤمنة، فاستشهاد في الجهاد لا يعني انقطاعه وخسارته بل يعني انتقاله إلى عالم آخر هو خير له من عالم الدنيا؛ لما فيه من النعيم والتكريم والفرح ما لا عين رأت ولا أن سمعت ولا خطر على قلب بشر، "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم ربهم".[٢٢]

وما فتئت تبكي صخرا قبل الإسلام وبعده حتى عميت. وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة.[٢٣] وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ وهي معهم وأوصتهم من أول الليل: يا بنيّ إنكم أسلمتم

---

[٢٢] Rosana , *رثاء الخنساء صخر . ديوان الخنساء . اسلام الخنساء . شعراء العصر الجاهلي. قصائد الخنساء . الخنساء* http://forum.stop٥٥.com/١٩٨١٥٨.html, ٢٥ – ١١ –٢٠١٣.

[٢٣] أحمد بن إبراهيم الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م)، ص. ٢٨٩.

طائعين وهاجرتم مختارين. والله الذي لاإله إلّا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم، ولا غيّرت لكم. وعلموا أن الدار الاخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون. فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدّموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصيّة العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم. فبلغها الخبر فقالت: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم. وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة.[٢٤] ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها. وتوفيت سنة ٢٤ هـ.[٢٥]

مولدها:

هي تُمَاضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، واحدة من أبرز شاعرات العرب منذ العصر الجاهلي و حتى الساعة.[٢٦]

ولدت تُماضر ولم يسجل يوم ميلادها أحد، فلم تكن هناك وثائق تسجل مثل هذه الأحداث، و لم يكن هناك من يتنبأها بالذيوع و الشهرة، حتى يهتم باليوم الذي و لدت فيه تُماضر.[٢٧]

و قد حاول الكثيرون من الباحثين المعاصرين تحديد يوم مولدها، فمنهم من رأى لها يوم ولادة ارتاح له، و منهم من آثر نهج الأقدمين بالتقديم، تحرجًا من اتخاذ رأي تعورة الأدلة، و منهم من توسط بين الاتجاهين فرضي بتاريخ لمولدها عامّا. فالمشترق جبرييلي جعل تاريخ الولادة سنة ٥٧٥ م و تبعه من العرب الأب لويش

---

[٢٤] ابن الفرج الاصفهاني, *اخبار النساء في كتاب الاغاني*، (بيروت- لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٦ م)، ص. ١١٠-١١١.

[٢٥] أحمد بن إبراهيم الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م)، ص. ٢٨٩.

[٢٦] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٥.

[٢٧] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٥.

شيخو اليسوعي، و الأستاذ إفرام البستاني، أما المستشرق غرنباوم يقرر أنها عاشت في النصف الأول من القرن السابع الميلادي.

أما بنت الشاطئ فقد تبعت خطى القدماء، و لم تتكلّف البحث عن يوم مولدها. . . و هكذا نرى أنفسنا في تيه إذا حاولنا أن نحدد يومًا لميلاد تُماضر أو حتى عام.[٢٨]

ولدت الخنساء و انتقلت من طفولتها إلى صباها فشبابها و لا شيئ يثير الانتباه، أو يلفت النظر فيها، غير ما كانت تمتازبه من جمال، و ما كانت تحسّه من أبويها و أخويها من عطف و محبة، جعلها تحس بنفسها، حتى يصل بها الإحساس إلى درجة الاعتداد بنفسها، أو قل إلى مرتبة الكبرياء و الأنفة. . . و لم يكن ذلك غريبًا على على واحدة نشأت في مثل هذه الظروف.[٢٩]

أب شريف، و أخوان سيدان يتباهى بهما الأب و يفاخر العرب، و لا يجرؤ أحد على نقض ما يقال. . . و هل لفتاة أن تفاخر بغير جمالها و بيتها.[٣٠]

و إذا هما اجتمعا لواحدة، فقد اجتمعت لها كل أسباب العزة و ملكت كل عوامل الفخار، و قد كان لهذا كل الأثر في حياة الخنساء و في تكوين شخصيتها.[٣١]

و قد بدا ذلك عندما تقدم لخطبتها دريد بن الصّمّة سيّد بني جشم، الذي عرفت العرب فروسيته، و لكنها رفضت للزواج منه، و كم شابة كانت تتمنى أن تكون لدريد زوجًا. . . بيد أنها الخنساء.[٣٢]

---

[٢٨] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٥.

[٢٩] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٥–٦.

[٣٠] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٦.

[٣١] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٦.

[٣٢] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٦.

لقد عرف فيها أهلها أنها راجع عقلها، و ذات فكر متزن، فأبوا إلا أن يكون زواجها بعد موافقتها، و لم يكن ذلك حقًّا لكل ابنة، و إتماهو خصيصة تمنح لمثيلات الخنساء.[٣٣]

بيئة الخنساء

تتضح شخصية الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها، و لا سيّما أولئك الذين طواهم التاريخ، و لم نستطع أن نعرف عنهم إلا مظاهر بدت سلوكهم أو أفعالهم أو أقوالهم، و الخنساء واحدة من هؤلاء، فقد تُبَيِّن كيف أنها ولدت و عاشت، و لا أحد يعرف عنها، و لا يذكر من أوصافها شيئًا إلاّ حين تعرض لها دريد بن الصّمّة طالبًا الزواج بها، و عندما فقط التفتنا إلى أنها جميلة أسر جمالها فارسًا طالما أسر الفرسان.[٣٤]

هذا و أن البيئة ليست قاصرة على ذلك البيت الذي عاشت فيه، و أغلقت أبوابه دونها، ولذا فليس لنا بد من أن نستعرض من البيئة بمدلولها الفسيح التي نشأت فيها الخنساء لنتمكن من رسم صورة لها ترضي الحقيقة.[٣٥]

البيئة زمان ومكان وطبيعة وأشخاص، يتفاعل معها تكوين الشخص ويتأثر بها بناؤه.[٣٦]

لقد تحددت بيئة الخنساء بمولدها في البادية الحجازية في عصر الجاهلية قبيل الإسلام، و ليس. كما يعتقد. أهل البادية همجًا تقطع أو صالهم الحروب، فقد كانت

---

[٣٣] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤)، ص. ٦.

[٣٤] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٦.

[٣٥] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٦.

[٣٦] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٧.

لهم معارفهم التي عملت في إنضاجها أذهانهم الصافية، ونظراتهم الصادقة إلى الطبيعة وحاجتهم إلى الحياة.[٣٧]

ولعل أهم ما تتسم البيئة آنذاك مما يساعدنا في توضيح شخص الخنساء، هو تألف القبيلة من ثلاث طبقات:

١- الأبناء الذين يربط بهم الدم والنسب وعليهم تقوم القبيلة.
٢- العبيد المجلوبون من البلاد الأجنبية المجاورة ولا سيّما الحبشة.
٣- الموالي وهم عتقاء القبيلة.

وتخضع القبيلة بطبقاتها الثلاث لقانون اجتماعي عام، فرضته عليهم ظروف الحياة وألزمهم إياه شعورهم بالحجاة الملحة إلى التضامن، وننظر إلى المرأة فنجدها في طبقتين: الحرائر والإماء. فأما الإماء فكان منهن عاهرات يتخذن الأخذان، وقينات يضربن على المزهر وغيره، وكان منهن جوار يخدمن الشريفات. وأما الحرة فتقوم بطهي الطعام ونسج الثياب إلا إذا كانت من الشريفات المخدومات فإنه كان يقوم لها هذه الأعمال بعض الجواري.[٣٨]

وتدل الأخبار على أن بنات الأشراف والسادة كان لهن منزلة سامية، فكنّ يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن، وقد بلغ بعضهن من المنزلة أنهن كنّ يحمين من يستجير بهنّ.[٣٩]

هذه هي البيئة التي نبتت فيها تماضر الخنساء، وتأثرت فيها في تكوين شخصيتها، سواء كانت الشخصية الاجتماعية أو الأدبية أو الشخصية الفكرية،

---

[٣٧] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٧.
[٣٨] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٧.
[٣٩] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٧.

ويعنينا هنا أن البيئة التي رأينا صورتها من قبل تنقسم في حقيقتها إلى عدة بيئات، لكل منها مؤثراتها الخاصة وطابعها المميّز.[٤٠]

إذا نخلص للقول إن الخنساء البدوية كانت تقطن مكانًا له خصائص ومميزات، نضخت على اهله، وظهرت على سكانه، فقد اشتهر أهل نجد بالبلاغة، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب، وإذا أحصينا شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر إلى المواطن، وجدنا أكثر من خمسين شاعرًا من نجد فحسب.[٤١]

حياة الخنساء:

١- الخنساء في شبابها:

نستطيع مما سبق أن نلمح صورة الخنساء بالقدر الذي يمكننا من أن نصفها بأنها كانت ذات حسب وجاه وشرف، وأنها كانت ذات جمال أخّاذ وتقاسيم متناسقة، لذا شبهوها بالبقرة الوحشية، وأنها بلغت مبلغًا من الأسر ما لم تبلغه فتاة، وأنها ذات جاذبية طاغية، أطلقت الألسن فواجهتها بحقيقتها وصارحتها بفتنتها، فعرفت ما تملك في يدها من سلاح كما عرفت قيمة ذلك السلاح.[٤٢]

كانت الخنساء عاقلة حازمة، حتى أنها قد عدت من شهيرات النساء، ومثل هذه يخشاها المتغزّلون، فلا يجرؤ أحد على التهجم عليها أو التحدث عنها إلا لقي ما يسوؤه، لذا لم يتكلم عليها أحد، ولم يتفوّه شاعر بشيئ يمكن أن ينقل وتحمله الألسن. حتى كان يوم أناخ فيه بنو جشم رواحلهم، طلبًا للراحة من عناء سفر طويل إلى مكة، وكان منزلهم في بادية الحجاز قريبًا من منازل بني سليم، وتسوق الأقدار سيد بني جشم دريدًا فينطلق على فرسه في رياضة قصيرة فلفت نظره مشهد

---

[٤٠] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٧.

[٤١] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٨.

[٤٢] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٨.

فتاة تهنأ بعيرًا لها، وقد تبذلت حتى فرغت منه، فنضت عنها ثيابها واغتسلت وهي لا تشعر به. وتمضي الحادثة ليسأل عنها فيعرف أنها تماضر بنت عمرو شقيقة صديقة الحميم معاوية. فيخطبها فترفض كل الوساطات في ذلك ولم تقبل بالزواج به. فنخلص إذًا إلى أنه لا شك في أن الخنساء مرت قبل دريد بتجربة زواج، ففرضت على أبيها ألا يقطع برأي إلا بعد أن يستشيرها ودفعت منها، فلم تتحرج حين نضت ثيابها، ولا خجلت من أبيها حين كلّمها في الزواج ولا استحيت أن تبدي رأيها فيه.[٤٣]

٢- الخنساء زوجة:

رأينا الخنساء متأثرة بمرارة الفشل في زواجها السابق ترفض الزواج من غير بني العم فترفض سيد آل بدر ثم ترفض سيد بني جشم، وأبوها في الحالتين حان مشفق لا يحاول أن يضغط عليها حتى لا يجمع إلى أزمتها التي تعيشها أزمة أخرى، وقد يكون موقفه ذلك ترضية لروح زوجه التي رحلت أم الخنساء.[٤٤]

ومن الروايات التي تحدثت عن زواح الخنساء الكثير. وقد ذكر لنا أكثر من ثلاثة أزواج، وهم الرواحي وعبد العزى و مرداسًا، وقد اختلفوا- أي الرواة- في ترتيب أزواجها، أيهم الأول. والمحقق من الأخبار ما نقلته بنت الشاطئ أن صاحب هذه الأسماء المختلفة هو شخص واحد هو الرواحي السلمي عبد العزى بن عبد الله بن رواحة.[٤٥]

الخنساء أختًا:

---

[٤٣] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

[٤٤] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

[٤٥] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

أحداث كثيرة تكشف لنا عن ذلك الجانب في حياة الخنساء ونرى على ضوئها الخنساء في علاقتها بأخويها.[٤٦]

لا تنتهي حادثة حتى تبدو حادثة أخرى، وكأنما استعاض التاريخ بتلك الأحداث في حياتها عن الرصد والتدوين، لنأخذ منها ما تطمئن إليه أفكارنا وما يتفق مع ما تسيغه نظراتنا إلى عصرها وبيئتها وظروف حياتها.[٤٧]

هذا وليس ببعيد عنا موقف أخيها صخر من معاوية الذي حاول أن يكرمها على الزواج بصديقه دريد، فلجأت إليه ليكون عونًا لها تحقق به ما رغبت، وتتغلب على رغبة شقيقها وليس ببعيد عن ذلك الموقف، موقفه منها حين أوقعها زوجها عبد العزى في ورطة مالية، فلم تجد غيره ملجأ تسعى إليه.[٤٨]

انهارت الخنساء بعدما تمالكت نفسها، وكانت موشكة أن تنهار في إثر مقتل معاوية لو لا ساندها وجود صخر ومنعها أخلاق قومها، ولكنها لم تجد سندًا ولم تجد مانعًا، فما قدرت على تمالك نفسها بعد موت صخر، فقد مات عزها ومؤنسها وملجؤها وحاميها، ولذا وجدت به أعظم وجد وولهت أشد الوله، وأقامت على قبره زمنًا تبكيه وتندبه وترثيه.[٤٩]

وكما كان صخر في حياته ملجأ الخنساء، يزيل عنها شكايته ويمسح عليها آلامها، كان بعد موته ملجأها كذلك، خفف عنها ما كبتت في نفسها من الأحزان، وما ابتلعت من غصص طالما أقلقتها وأقضت منها المضاجع، فلما مات صخر انفجرت باكية من غير مساك.[٥٠]

---

[٤٦] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

[٤٧] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

[٤٨] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ٩.

[٤٩] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٠] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

وتمضي الخنساء في الإسلام فتنسى كثيرًا من عادات الجاهلية ولكنها لا تنسى السادات من مضر، ولا يفارقها الوجد عليهم والبكاء من أجلهم.[٥١]

لقد كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشهد الشعر، ويستزيدها وهو مصغ إليها.[٥٢]

الخنساء أمًا:

لم تكن الخنساء الأم بأوضح كثيرًا مما كانت عليه وهي طفلة وشابة وزوجة وأختًا.[٥٣]

يبدأ الغموض في هذا الجانب من حياة الخنساء بحصر بنيها من مرداس بن عامر السلمي، فهم ولدان وبنت أو ثلاثة وبنت أو أربعة وبنت.[٥٤]

و يؤيد القول بأن الأربعة أبناء الخنساء من مرادس: ما روي من أنها حضرت القادسية ومعها بنوها الأربعة.[٥٥]

وإذا حاولنا أن نتعرف على الأبناء من أمهم، فشلنا، إذا لم يصلنا من أخبار الرواة عنهم حديث نطمئن إليه إلا حينما صفرت يداها من الأب والزوج والأخ.[٥٦]

وأحداث ثلاثة تمر بابني الخنساء الأكبرين، فما اختلجت فيها خالجة ولا رويت عنها كلمة يشير إلى أنها اهتمت لذلك، ويبدو أنها حتى ذلك الحين لم تفق من صدماتها المتواليات في أسرتها، فهي في شغل عن كل ما حولها من أحداث

---

[٥١] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٢] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٣] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٤] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٥] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٠.

[٥٦] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

وهذا- على غرابته من أم إزاء أبنائها- ربما كان بسبب انهيار أصاب منها صلابتها ومضاء عزيمتها على توالي الأحداث.[٥٧]

تراها في ذلك الحين فجأة تتوسط بنيها الأربعة تحرضهم على الحرب، وتمسح عن نفوسهم الخوف والقلق على مصيرها هي بعدهم، فهي في الإسلام لن تضاع إذا فقدت العائل المعين.[٥٨]

وما زلوا في الحرب حتى استشهدوا جميعًا.

وبلغها الخبر- صلى الله عليه وسلم- مع الجيش العائد محملاً بالظفر، فقالت: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. قالتها ولم تزد عليها شيئًا.[٥٩]

وفاة الخنساء

يزداد أمر الخنساء غرابة، كلما ازددنا بحثًا عنها وتنقيبًا وراءها، نظرنا ميلادها المجهول، فقلنا سر ذلك أنها لم تكن بعد قد اشتهرت، وقد ولدت مغمورة فما كان ليسجل ميلادها أحد، وصادفنا شبابها وزواجها فاضطربت المرويات في عدد الأزواج مع ما وضح لها آنذاك من معالم جمالية أنثوية تغري بالتتبع وتدفع إلى الملاحظة.[٦٠]

ثم قتل أخواها واستشهد بنوها، فتناوشتها الألسن بعد أن تجددت حول موقفها التعليلات.[٦١]

---

[٥٧] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

[٥٨] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

[٥٩] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

[٦٠] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

[٦١] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت-لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١١.

بيد أنها لم تتخل في موتها عما اتسمت به في حياتها من الامتزاج بالغرائب. ماتت الخنساء، وقد طبقت شهرتها الآفاق، إن لم يكن ببكائها على السادات من مضر فباستشهاد بنيها الأربعة.[٦٢]

ماتت الخنساء ومعها شاهد تضمن به تسجيل يوم موتها ولا نعتمد فيه على رواية الأفراد من عامة الشعب، وما قد يعتورها من تضارب واختلاف، ومع هذا فما كان موتها بأحسن حالاً من ميلادها، ماتت فاختلفت الباحثون واتسع بينهم الاختلاف حتى بلغت مسافتة ثلث قرن أو يزيد.[٦٣]

فمن قائل كانت وفاتها سنة ٦٤٦ م وهو يوافق سنة ٢٤ هـ إلى قائل في أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحددها البعض بسنة ٢٤ هـ، وقد حدّدها الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد بنحو سنة ٥٠ هـ أما لويس شيخو فحدد سنة وفاتها عام ٦٨٠ م.[٦٤]

ولعل سر ذلك الخلاف خلو حياة الخنساء من مثيرات تغري المؤرخ أو الباحث بالتتبع والتقصي، ولذا وقفوا بأنبائها عند استشهاد بنيها في القادسية، وإعطائها أرزاق أولادها الشهداء ما عاش عمر رضي الله عنه. وهكذا ننظر فنرى في الخنساء امرأة ضاقت بالحياة بها، وكأنها محكوم حُكِمَ عليه بسجن يقضيه على الرغم ممن يجاورونه، بل على الرغم من المكان الذي يدبّ فيه.[٦٥]

ولذا ماتت الخنساء التي طالما أبكت العيون في حياتها، فما دمعت لها عين ولا نطق برثائها لسان.[٦٦]

---

[٦٢] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٢.

[٦٣] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٢.

[٦٤] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٢.

[٦٥] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٢.

[٦٦] حمد و طمّاس، *ديوان الخنساء*، (بيروت–لبنان: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م)، ص. ١٢.

٢. أخلاقها ومؤلفتها

لقد وضعت الباحثة في الفصل الأول عن حياة ونشأة الخنساء، فأردات الباحثة في هذا الفصل أن تبحث عن الأخلاق والمؤلّفات التي الّفها الخنساء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وتسمّى أنها بالشاعرة المخضرمة. وقبل أن نعرف عن أخلاقها، فمن المستحسن أن تبحث الباحثة عن تعريف الأخلاق نفسه لأنّ كل النّاس في هذه هذه الدنيا لهم سلوك أو طبيعة يفرّقون عن غيرهم في كلّ عمل يعملهم كلّ يوم وعادة اعتادهم وهذه كلّها تسمّى بالأخلاق. والأخلاق لغةً جمع من خلقٍ ومعناها السّجيّة والطّبع والعادة والمروءة والدّين.[٦٧]

وأمّا معنى الإصطلاحيّ للأخلاق عند العلماء منها كقول إمام الغزلى في كتاب إحياء علوم الدين أنّ الخُلق هو عبارة عن هيئة في النّفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسرّ من غير حاجة إلى فكرٍ ورويّةٍ. ومنها قول محمّد بن عيلان الصديق أن الخلق هو ملكة بالنّفس يقتدر بها على صدور الأفعال الجميلة بسهولة. ومنها قول ابن مسكوية أنّ الخلق هو حال للنّفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكرٍ ولا رويّةٍ. من هذه الفكرة قد عرف أنّ الأخلاق هو ملكة وهيئة في النّفوس كل النّاس في هذه الدنيا وكذلك الخنساء لها المروءة أو العادة الّتي تميّزها مع غيره.

والأخلاق الّتي تتجلّى بها الخنساء قد بدت خصائص الخلقية من الأخلاق في العصر الجاهليّ وعصر صدر الإسلام، وإنّ الأخلاق الجاهليّة أكثرها سيّئة كشرب الخمر والكفر ولعب الميسر، وما إلى ذلك، وبعدضها الأخلاق الحسنة كالصّدق والجود. وأمّا الأخلاق الخنساء الجاهليّة عظيمة ورحيمة والشجاعة بجانب عاشفة المجد والنّصر هذا كلّها عرف في بعض قصيدتها. والدّليل على ذلك أنّها تفضل أن

[٦٧] Mahjudin, *Kuliah Akhlak Tasawwuf*, (Jakarta: Kalam Mulia, cetakan III, ١٩٩٠), hal. ٢٠.

تتزوّج مع الرّجل من قبلتها بني سليم ولا تريد أن تترك قومها ومدينتها. ثمّ ردّت الخنساء خطبة دريد بن الصمة من قبيلة جشم وقالت له أتراني تاركة بنى عمّى كأنّهم عوالي الرّماح ومرتّثة شيخ بنى جشم.[٦٨] ففي ذلك يقول دريد في قصيدته كمايلي:

حَيُّوْا تُمَاضِرُ وَارْبَعُوْا صَحَبِيْ # وَقَفُوْا فَإِنَّ وَقَوْفَكُمْ حَسَبِيْ

أَ خُنَاسُ قَدْ هَامَ ٱلْفُؤَادِ بِكُمْ # وَأَصَابِهِ تَبْلَ مِنْ الْحُبِّ

مَا إِنَّ رَأَيْتَ وَلَاسَمِعْتُ بِهِ # كَالْيَوْمِ هَانِئَ أَيْنِقُ جَرَبِ

مَتَبَذِّلًا تَبْدُوْ وَمُحَاسَنَهِ # يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعُ النَّقَبِ

من هذه القصيدة قد عرف أنّ الأخلاق للخنساء عظيمة وكريمة لأنّها قد رفضت خطبة دريد بن الصّمة بناعم اللّسان. قد وجدت الخنساء في شيخوختها صابرةً محتسنةً لأن حين سمعت عن مقتل أخويها معاوية وصخر فقد ظهرت حزنها حزنا شديدا. وكانت عي بطالة شجاعة ودليل عن هذا أنّها مع أربعة بنينها تتّبعون حرب القادسيّة تحت راية الإسلام سنة ١٦ هو شهدوا فيه.

عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية ونستدل على ذلك من خلال نشأتها في بيت عز وجاه مع والدها وأخويها معاوية وصخر، والقصائد التي كانت تتفاخر بها بكرمهما وجودهما، وأيضا أثبتت قوة شخصيتها برفضها الزواج من دريد بن الصمة أحد فرسان بني جشم؛ لأنها آثرت الزواج من أحد بني قومها. [٦٩]

الخنساء أعظم شواعر العرب على الاطلاق. وهي جميلة ولكن دفعت عن خطبة دريد بن صمت لأنها اهتمت كثيرة بحاجات الأمة ومجتمعها من حاجات

---

[٦٨] أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى، *الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء*، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م)، ص. ٢١٣.

[٦٩] راغب السرجاني، *الخنساء*، http://islamstory.com/ar/، ٢٥ – ١١-٢٠١٣ .

نفسها. عندما جاء الإسلام حضرت جماعة واسلمت ومجاهدة لأرباع ابناءها كمجاهدين في سبيل الله ١٣ هـ.[٧٠]

ب. المبحث الثاني: لمحة عن الشعر

١. مفهوم الشعر

الشعر لغة مصدر من "شعر- يشعر أو أحس به".[٧١] وأما الشعر عند الأدب العربى انه الكلام الموزون المقفى.[٧٢] وقال قدامة بن جعفر في تعريف الشعر: "إنه قول موزون مقفى يدل على معنى والأسباب المفردات الّتي يحيط بها حد الشعر، وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية"، فكما أن الكلام يكون فصيحا و موزنا مقفي، و هذا يعنى أن الكلام منظوم في الوزن و القافية. و الشعر عند بن خلدون هو الكلام الموزون المقفى و معناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد و هو القافية .[٧٣]

الشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع. و اذا كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض العرب تجوزا لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالا و لو لم يكن موزونا مقفى.[٧٤]

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر. ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، فالحفر يصورها بارزة. والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط، والالوان، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ .. فهو لغة النفس أو هو صور ظاهرة

---

[٧٠] Juwairiyah Dahlan. *Sejarah Sastra Arab Masa Jahili*. (Surabaya: Jauhar.٢٠١٠), hal. ٦٤-٦٥.

[٧١] لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٥ م)، ص. ٣٩١.

[٧٢] أحمد أمين، *النقد الأدبى*، (بيروت- لبنان: دار الكتب العربى، مجهول السنة)، ص. ٧٩.

[٧٣] أحمد الشايب، *اصول النقد الأدبى*، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ م)، ص. ٢٩٥.

[٧٤] أحمد الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب*، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثلاثون، مجهول السنة)، ص: ٣٤١.

لحقائق غير ظاهرة. والموسيقى كالشعر .. وهو يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني، وهي تعبر عنه بالأنغام والألحان، وكلاهما في الأصل شيء واحد...[٧٥]

الشعر العربى هو نظم الشعر فى اللغة العربية فن مستقل بذاته بين الفنون التى عرفت فى العصر الحديث باسم الفنون الجميلة، وتلك مزية نادرة جداً بين أشعار الأمم الشرقية والغربية، خلافا لما يبدر إلى الخاطر لأول وهلة. فإن كثيراً من أشعار الأمم تكسب صنتها الفنية بمصاحبة فن آخر، كالغناء أو الرقص أو الحركة على الإيقاع. ولكن النظم العربى فن معروف المقابيس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص والحركة الموقعة، فلا يصعب تمييزه شطرة بمقياسه الفنى من البحور والأعاريض إلى الأوتاد والأساليب.[٧٦]

هذا هو تعريف الشعر في الحقيقة، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالألفاظ، وهو تعريف للنظم لا للشعر .. وبينهما فرق كبير، اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم، وقد يكون ناظماً وليس في نظمه شعر .. وإن كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعاً في النفس، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر، ويجوز سبكة في النثر. وقد تقدم ابن خلدون خطوة في تعريف الشعر، فقال: ((الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به)) فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر، ويشترط ايضاً استقلال كل بيت منها بغرضه. وهو تقييد لا باعث له إذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر، وذلك كثير في كلامهم، والحكم فيه للذوق.[٧٧]

---

[٧٥] جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، مجهول السنة)، ص. ٥٢.

[٧٦] عباس محمود العقاد، *اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية*، (مكتبة غريب: الفجالة، مجهول السنة)، ص. ١٤٢.

[٧٧] جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، مجهول السنة)، ص. ٥٢.

فى التعبير الشعرى شيء من هذا، فالظاهر أن الإيقاع فيه ووفرة التصورات الخيالية، يساعدان الألفاظ على استنفاد الانفعال بطريقة شبه عضلية وحسية، لأنها تمت بسبب إلى الرقص والغناء وسيلتى التعبير الحسديتين عن الانفعال الوجداني الفنى. وعلى هذا لا يكون الإيقاع فى الشعر ولا التعبير اللفظى المشع ناقلة، فإن للإيقاع وظيفة خاصة يؤديها فى استنفاد الطاقة الشعورية، وهو جزء من دلالة التعبير كالدلالة المعنوية اللغوية. أما الصور والظلال فهي استنفاد لطاقة الحس والخيال المصاحبة للتجربة الشعورية القوية، الفائضة عن التعبير اللفظى المجرد.[٧٨]

ففى الشعر العربي تنوية بكل صفة من صفات المروءة والفتوة. وإزراء بكل عيب من العيوب التى تشين صاحبها بين قومه، وبيان واف للأخلاق التى تحكم الحياة فعلا أو ينبغى أن تحكما وتتراءى فيها مرجحه مشرقة بين سائر الأخلاق.[٧٩]

لابد أن نبدأ بالشعر لهذا السبب، ولسبب آخر: ذلك هو أن التعريف الذي اخترناه للعمل الأدبى يصدق صدقًا كاملًا وحرفيًا على الشعر بخاصة فى إجماله وفى تفصيله، بينما تضعق بعض عناصره أو تنزوى فى بعض العمل الأدبى الأخرى.[٨٠]

و من هنا يمكن لنا القول أن الكلام في الشعر يكون منظوما فيه و لذلك فلا غرابة فيما اذا كان هناك من يرى أن الشعر هو الكلام المنظوم في الوزن و القافية[٨١].الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة و الأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن و الروي (مستقلا) كل جزء منها في غرضه و مقصده عما قبله و بعده و الجاري على أساليب العرب المخصوصة به .... و قولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل له (أي بفصله يجعله مفصولا مختلفا) عما لم يجر منه

---

[٧٨] سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، (القاهرة–مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦ م)، ص. ٦٤.

[٧٩] عباس محمود العقاد، *اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية*، (مكتبة غريب: الفجالة، مجهول السنة)، ص. ٩٠.

[٨٠] سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، ، (القاهرة–مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦ م)، ص. ٦٢.

[٨١] طه حسين، *من تاريخ الادب العربي*. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١ م)، ص. ٦١.

على أساليب الشعر المعروفة، فإنه حينئذ لا يكون شعرا، إنما هو كلام منظوم، لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور. و كذا أساليب المنثور لا تكون الشعر. فما كان من الكلام منظوما و ليس على تلك الأساليب فلا يسمى شعرا. و بهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي و المعري ليس هو من الشعر في شئ، لإنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه.....[٨٢]

وكانوا شعراء الساميين واقدر ما على قرض الشعر وتذوقه لاتساع لغتهم للقول ولجمال جرسها وعذوبة موسيقاها الّتي يستريح إليها السامع كما يستريح إلى النظم المرتل والكلام الموزن يتلاقي منها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لايعهد له نظير في سائر اللغات. ومن أسرار بنوعهم في الشعر أيضا بجانب لغتهم الشاعرة ملاءمة بيئتهم للخيال وصفاء قريحتهم وسذاجة معيشتهم وكمال حريتهم، وهم فوق ذلك ذو نفوس شاعرة وأحاسيس مرهفة وطباع ثائرة وملاحظة دقيقة، فلم يدعوا شيئا يجول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه حتى أصبح الشعر سجلهم الحافل بعلومهم وحكمهم ووقائعهم وأيامهم وسيرهم وعاداتهم وطبائعهم وأخلاقهم وصفاتهم يمجد محمودها ويذم قبيحها.[٨٣]

فالشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع ولا تلاحظ فيه القافية ولا الأوزان المقررة، وقلما تلاحظ القافية فى الأشعار التى تنشدها الجماعات، كالشعر المسرحى عند اليونان، وتراتيل الصلاة والعبادة عند العبريين.[٨٤]

والشعر فى الأدب العرب متميز الطبيعة عن النثر بحكم ظهور الإيقاع الموسقى المقسم، وبحكم القافية. ولا يخلو النثر الفنى من الإيقاع الذى يبلغ حد

---

[٨٢] عمر فروخ، *تاريخ الأدب العربي*، (بيروت لبنان: دار العلم للملايين، الجزء السادس، ١٩٨٣ م)، ص. ٥٩٨.

[٨٣] أحمد الاسكندى وأحمد أمين ، *تاريخ الأدب العربى وتاريخه*، (مصر: دار المعارف، مجهول السنة)، ص. ٤٥.

[٨٤] عباس محمود العقاد، *اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية*، (مكتبة غريب: الفجالة مجهول السنة)، ص. ٢٦.

الكمال والاتساق أحيانًا- كالأمثلة التى مرت فى الفصل السابق- ولكنه إيقاع من نوع آخر غير النوع الذى يحتويه النظم. وكذلك لايحلو النثر الفنى من القافية المتحدة أو المتقاربة فى بعض فنونه كالسجع والازدواج، ولكنها تختفى فى فنونه الأخرى الطليقة. ليس فى كل لحظة يجد الإنسان نفسه فى حاجة لأن يقول الشعر، ولا فى كل حالة يحس الدافع إليه. هناك تجارب سعورية معينة تثير انفعالات شعورية خاصة، لايستنفدها إلا التعبير الشعرى. وقد لايكون صاحبها من القادرين على النظم فيعبر نثراً، ولكنه شبه موزون من ناحية الإيقاع، ومشحون بالصور والظلال التى هى ميزة الشعر الكبرى.[٨٥]

ومهما يكن من شيء فإن في الشعر جمالاً فنياً خالصاً يأتيه أحياناً من قبل اللفظ وأحياناً من قبل المعنى، وأحياناً من قبلها جميعاً. ومهما يختلف حظ الشعر من هذا الجمال، ومهما يختلف ذوق النقاد ورأيهم في هذا الجمال، فإن للشعر منه حظاً ما يتفق الناس جميعاً اذا سلمت أذواقهم في إحساسه والشعور به. وإذا كان الشعراء والأدباء متفقين على ان الشعر يجب ان يتقيد لفظه بالوزن والقافية، فهم متفقون كذلك على ان الشعر يجب ان يكون له حظ ما من هذا الجمال الفني مهما يكن مصدره ومقداره.[٨٦]

وفى هذه اللحظات يكون الشعر هو التعبير المناسب لاستنفاد الطاقة الشعورية الزائداة على ما يستطيع التعبير النثرى أن يستنفده. فالشعر ليس تعبيراً عن الحياة —كما غال بعض الكتاب- إنما هو تعبير عن اللحظات الأقوى والأملأ باطاقة الشعورية في الحياة.

---

[٨٥] سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، (القاهرة-مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦ م)، ص. ٦٢-٦٣.

[٨٦] طه حسين، *من تاريخ الادب العربي*. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١ م)، ص. ٦٤.

وليس لموضوع التعبير فى ذاته دخل فى هذا. فالمهم هو درجة الانفعال الشعورى بهذ الومضوع. فقد يقف الشاعر أمام الطبيعة الجميلة المزهوة فى الربيع فلا تثير انفعاله لسبب من الأسباب، فقد يقف أمام دودة حقيرة، أوحائط متهدم، فتجيش نفسه وتنفعل. فتكون التجربة الأولى بعيدة عن الروح الشعرية والتعبير الشعرى. وتكون الثانية هي الحافلة باطاقة الحافزة على التعبير، وهذا البيان ضرورى هنا لإيضاح ما نريد.[٨٧]

٢. أقسام الشعر

جرى النقاد والمؤرخون على تقسيم الشعر أقساما رئيسية ثلاثة: قصصى وغنائى وتمثيلى، وأساس هذه القسمة هو الصلة بين الشاعر وموضوع الشعر، فالقصاص شعر موضوعى والغناء شعر ذاتى والتمثيل شعر موضوعى في طريقة ذاتية، وقد عورض هذا التقسيم بذكر أنواع لا تدخل في أحد فروعه حتى قسمه بعضهم أقساما خمسة مضيفا إلى هذه الثلاثة الشعر التعليمى الذي يمجد الفضائل الدينية أو الخلقية ويدعو إليها كمذهب أبى العتاهية، ثم الشعر الهجائى الذي يهاجم الرذائل أو ٢٢٢٢٢الأخطاء الاجتماعية وينفر منها، وهو غير السباب الشخصى المشهور في الأدب العربى. وعندى أنه من المستطاع رد هذين القسمين إلى الشعر الغنائى إذا لوحظ أنهما يصوران شعور الفرد: وهو حبه الخير وبغضه الشر أو غيرته على الشعب أو الحياة العامة أن تشوه بالنقائص، ويحسن أن نقول كلمة في كل من هذه الأقسام الرئيسية.[٨٨]

---

[٨٧] سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، (القاهرة–مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦ م)، ص. ٦٤.

[٨٨] أحمد الشايب، *اصول النقد الأدبى*، (القاهرة–مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤)، ص. ٣٠٩.

فقد ظهر انصار الجديد على الشعر الاجنبي قديمه و حديثه، و عرفوا ان هذا الشعر – على انه غني في نفسه خصب في لفظه ومعناه – كثير الانواع متباين الفنون، له من ذلك حظ ليس للشعر العربي مثله. و كيف لا و قد رأوا عند اليونان و الرومان و الفرنج شعرا يسمى الشعر القصصى، و آخر يسمى الشعر التمثيلي، ورأوا لكل نوع من هذه الانواع خصائص ومميزات وحظوظا من الجمال مختلفة، ورأوا ان صنوف هذا الشعر الاجنبي وتنوعة، واختلاف المذاهب فيه قد استطاع ان يمثل حياة اصحابه من وجوه كثيرة، واستطاع في الوقت نفسه ان يعرض على الناس مظاهر الجمال الفني المطلق مختلفة متنوعة، والمسوا ذلك من الشعر العربي فلم يجدوه ولم يجدوا شيئاً يقرب منه، فوصفوه بالنقص والضعف، ووصفوا اصحابه بالقصور، واندفعوا الى افتتانهم بالشعر الاجنبي وازدرائهم للشعر العربي حتى أحفظوا انصار القديم وغاظوهم، فهب هؤلاء يذودون عن شعرهم العربي، ولكنهم لم يسلكوا في هذا الدقاع طريقا سواء، وانما التوت بهم سبل، فخلطوا وأفسدوا الامر على انفسهم وعلى الشعر العربي. فالشعر القصصي، كما يعرفه اصحاب هذا الفن من القدماء والمحدثين، لا يعتمد على ذكر الابطال والحروب ليس غير، وانما هو يعتمد على ذلك، ويعتمد على ذلك، ويعتمد على اشياء اخرى منها اللفظي ومنها المعنوي، فهو في لفظه طويل مسرف في الطول تبلغ القصيدة من قصائده آلافاًمن الأبيات.[٨٩]

وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الغنائي أو الموسيقي، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى. وينقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع: الأوال الشعر القصصي *Epique*، والثاني الشعر الغنائي *Lyrique*، والثالث الشعر التمثيلي *Dramatique*. فالشعر القصصي أقدمها، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزوناً أو غير موزون) على سبيل القصة، وأكثرها دينية، وأبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم. قضى اليونان

[٨٩] طه حسين، *من تاريخ الادب العربي*. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١ م)، ص. ٦٩-٧١.

بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصي، وفيه أخبار آلهتهم وحروبها وعلاقتها بالبشر. ثم قالوا الشعر الغنائي وقد نضج عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الأحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الاشراف كما تقدم. ثم رأو الكلام وحده لا يكفي لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدي سردها أو تمثيلها الى مغزى ما يريدون. فبدلاً من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلاً ويحببها الى الأبطال ببلاغة البيان الشعري، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن، وسموا هذا النوع من الشعر ((الشعر التمسيلي ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمي الى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أولم تمثل، وفي الشعر القصصي شيء منه لأن الياذة هو ميروس لاتخلو من مشاهد تمثيلية.[٩٠]

وقد فرع طه حسين أنواع أو أقسام الشعر العربي في العصر الحديث إلى هذه الثلاثة: الأوال الشعر الملتزم: هو الشعر الذى يقلد قواعد العروض في الوزن و القافية و هذا ما يسمى بالشعر التقليد، و الثاني الشعر المرسل: هو الشعر الذى يقلد التفعيلات العروضية و لكن لا يقلد الوزن و القافية، و الثالث الشعر الحر: هو الشعر الذى لا يقلد الوزن و لا القافية حتى التفعيلات بل إنما مفيد بالنظم الشعرى، يعبر فيه الشاعر مشاعره و خياله بالكلام الجميل[٩١]. ولقد سلك الشعر هذا الحطة تقريبًا فى تاريخه كله. سواء كان شعراً غنائياً كما فى الأدب العربى القديم، أو شعر ملاحم وتمثيليات كما فى الأدب الإغريقى والأوروبي، وبعض الأدب العربى الحديث.[٩٢]

---

[٩٠] جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، مجهول السنة) ص. ٥٣–٥٥.

[٩١] طه حسين، *من تاريخ الادب العربي*. (بيروت: دار العلم ملايين، ١٩٨١م)، ص. ٦١.

[٩٢] سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، (القاهرة–مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦م)، ص. ٦٤.

وقد فرع طه حسين أنواع الشعر العربى في العصر الحديث إلى هذه الثلاثة:

أ) الشعر الملتزم : هو الشعر الّذي يقلد قواعد العروض في الوزن والقافية وهذا ما يسمى بالشعر التقليدي.
ب) الشعر المرسل: هو الشعر الّذي يقلد التفعيلات العروضية ولكن لايقلد الوزن والقافية.
ج) الشعر الحر : هو الشعر الّذي لايقلد الوزن ولا القافية حتى التفعيلات بل إنما مقيد بالنظم الشعرى، يعبر فيه الشاعر مشاعره وخياله بالكلام الجميل.

أقسام الشعر من الناحية إلى هذه الثلاثة:[٩٣]

أ) الشعر القصصي: هو الذي يعتمد في مادّته على ذكر وقائع وتصوير حوادث في قصة تساق مقدّماتها وتحكى مناظرها وينطق أشخاصها.
ب) الشعر التمثيلي: هو شعر يقصدبه تصوير حادثة من الحوادث تساق في قصّة من القصص فيها مناظر يقوم بها أبطال وأشخاص يمثل منهم دوره ويؤدي مهمته ويبرز أمام العيون بالواقع وعماد الشعر التمثيلي الحوار بين أشخاص مختلفين.
ج) الشعر الغنائي: هو الذي يصف فيه الشاعر مايحس به من خواطر، وما يجيش في نفسه من خوالج: من حبّ وبغض وفرح وحزن وغضب ورضى.

٣. أغراض الشعر

الأغراض جمع من الغرض، ويبدو ذلك فيما ذكره لويس معلوف إذا قال بأن الغرض جمعه أغراض وهو بمعنى البغية والحاجة والقصد. وتارة أنه بمعنى الهدف الذي برمى اليه فضلا أن يكون بمعنى الحزب.[٩٤]

---

[٩٣] Mas'an Hamid, Ilmu Arudl dan Qawafi, (Surabaya: Al-Ikhlas, cetakan ١, ١٩٩٥), hal. ٦٦ .

العرب يقسمون الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغرض[٩٥] تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الإجمال، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف أعرض الشعراء .. وينقسم الشعراء من هذا الوجه الى مجاميع، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص. وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء، فنقسم الشعراء بالنظر الى أغراضهم في النظم.[٩٦]

الوصف هو التصوير والتفسير على ما في الكون. المدح هو الغناء لأجل الشكر والعظيم لرؤسائهم وهداياهم. الرثاء هو الحزن والبكاء نحو الميت بذكر اعمالهم الصالحة. الهجاء هو التوبيح نحو الأخرين للدفاع عن رؤسائهم. الفخر هو عادة الشعراء اظهار الكرامة والنسب. والغزل هو مدح الجمال والسعادة شوقا، الذي نوعين يعني الأوّل غزل البدوى هو مدح الشعراء شوقا لمحبوباتهم بذكر الأطلال في الصحراء، الثاني غزل الحضرى هو مدح الشعراء شوقا للمال في المدينة. والخمر هو شرب غال للأغنياء. والزهد هو ابتعاد المال ومتاع الدنيا. والإعتذار هو تقديم العلة والعذر دفاعا عن الفتنة.[٩٧]

هكذا رثت الخنساء أباها وأخويها، ورثت هند بنت عتبة أباها، ورثت الخزنق زوجها وأبناءها، ورثت ليلى بنت طريف أخاها الوليد، ورثت عائشة التيمورية ابنتها ووالدها وأختها، ورثت نازك الملائكة عمتها، ورثت شريفة فتحى صديقا من أصدقاء أدبها، وحاولت روحية القليني أن ترثى أخاها فبدأت المرثية ولم تتمها، ورثت هيام رمزى الدرونجى والدها.[٩٨]

---

[٩٤] لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٥ م)، ص. ٥٤٨.

[٩٥] جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، مجهول السنة) ص. ٥٣.

[٩٦] جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت– لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، مجهول السنة) ص. ٩٥.

[٩٧] Juwairiyah Dahlan. *Sejarah Sastra Arab Masa Jahili*. (Surabaya: Jauhar.٢٠١٠), hal. ٦.٣ .

[٩٨] أحمد محمد الحوفي، *اضواء على الأدب الحديث*، (قاهرة: دار المعارف، ١٩٨١ م)، ص. ٢٦٢.

ج. المبحث الثالث: شعر الرثاء للخنساء

١. لمحة عن الرثاء

ولعل الرثاء و الغزل أقدم فنون الشعر، لأنه يتعلقان بعاطفة الإنسان مباشرة. ولاريب في أن الرثاء من أوّل الأسباب الّتي حركة العاطفة الإنسانية. والرثاء (مدح الميت): نصف الميت بجميع الصفات الحميدة التي نصف بها الحيّ، مع فارق واحد: نمدح الحيّ فنقول له: أنت كريم؛ ونرثي الميت فنقول له: كنت كريما. والرثاء يرد في حالين: يرثي الشاعر رجلا غريبا فيكون رثاؤه للرجال الغريب قليل العاطفة عادة لانختلف من المديح كثيرا؛ ويرثي الشاعر قريبا له (أخا أو ابنا) فيكون رثاؤه رقيقا شديدا العاطفة.[٩٩]

الشعر في المراثي انما يقال على الرفاء، فيقضى الشاعر بقوله حقوقا سلفت، او على السجية إذا كان الشاعر قد فجع ببعض اهله، أما أن يقال على الرغبة فلا؛ لأن العرب التزموا في ذلك مذهبا واحدا، وهو ذكرما يدل على أن الميت قد مات، فيجمعون بين التفجع والحسرة والأسف والتلهيف والإستعظام، ثم (يذكرون) صفات المدح مبللة بالدموع، حتى قال قدامة: انه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك؛ ومن أجل ذلك لم يتبسطوا في معاني الرثاء.[١٠٠]

والفجيهة من (الموجودات) وما يتبع ذلك من درس العواطف المحزنة والبحث عن أماكن الألم في نفس الإنسان، كما كان ذلك عند اليونان، إذا كان من شعرائهم من تحصص للفواجع وعرف بصفات الحزن كأوريبيذس وغيره، وكما كان عند العربيين، وهم ابكى الناس، حتى إن الرثاء من الصفات المميزة لأشعارهم؛ ويرجع

---

[٩٩] عمر فروخ، *المنهج الجديد في الأدب العربيّ*، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م)، ص. ٨٠.

[١٠٠] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٨ .

ذلك النقص في العربي إلى أسبابه الطبيعية مما يتعلق بالبداوة والأخلاق التى تكون عنها، وقد مر ذكر ذلك في مواضع كثيرة.[١٠١]

ومن تلك الأخلاق كانوا لايرثون قتلى الحروب، لأنهم ماخرجوا إلا ليقتلوا، فإذا بكوهم كان ذلك هجاء أو في حكمه؛ ولكن الرثاء لمن يموت حتف أنفه؛ أو يقتل في غير حرب من حروب التاريخ، كالغارة ونحوها، فحينئذ يعددون المآثر ويبالغون في الفجيعة كأن هذا الموت غير طبيعي فيمن يستحق أن يموت.[١٠٢]

ومر في الكلام عن شواعر العرب شيئ عن موضعن من الرثاء، لأنهن أشبحى الناس قلوبا عند المصيبة وأشدهن جزعا على هالك؛ لما ركب في طبعهن من الخور، وقي قلوبهن من سهولة الانخلاع، أما الرجال فلم يشتهر منهم بالرثاء إلا أفراد عضتهم المصيبة بما لم يبرأ من الألم فصاحوا تلك الصيحة التي ينجدب معها القلب إلى الشفتين.[١٠٣]

وبديهى أن الرثاء لايتعلق بالنسيب كما يتعلق به المدح والهجاء وغيرهما ولكن وردت للعرب في ذلك قصيدة واحدة. قال ابن الكلبى: لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة:

أَرَثَ جَدِيْدُ الْحَلِيْلُ مِنْ أُمُّ مَعْبُدِ # بِعَافِيَةٍ وَأُخْلِفَتْ كُلِّ مَوْعِدِ[١٠٤]

ومما حدث بعد الإسلامى في طريق الرثاء الجمع بين التعزية والتهنية، وهو محصوص بالخلفاء في تعزية من يلي عهد أبيه منهم، وكان أول ذلك حين مات معاوية وقدم يزيد ولده فلم يقددم أحد على تعزية، حتى دخل عليه عبدالله إبن همام

---

[١٠١] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٨ .

[١٠٢] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٨ .

[١٠٣] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٨ .

[١٠٤] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٧ .

السلولي فأنشده ففتح للناس بعده باب القول، وقد روى ان رشيق هذه الأبيات في العمدة ووطأها بسجعات نسبها للسلولي، والصحيح أن له الشعر وحده، أما السجع فهو لعطاء بن أبي صيفي الثقفي، وهو من الخطباء الّذين فتح لهم الكلام بذلك الشعر ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لايريدون أيهنئونه أيغزونه؟ فأقبل غيلان ابن مسلمة الثقفى، فسلم عليه ثم خطب معزيا ومهنئا. وكذلك لما توفي المنصور دخل ابن عتبه مع الخطباء على المهدي فسلم ونخا هذا المنحى، وقد روى كلامهما الجاحظ في الجزء الأول من البيان.[١٠٥]

وكان للرثاء شأن في أول الدولة الأموية، حتى كانت المراثى يناح بها نوحا على القتل والأموات، وأشهر من عرف بذلك الغريض المغني، وقد ربته الثريا بنت عبد الله بن الحارث وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد ابن معاوية من أهلها يوم الحرة، وكان المشهور قبله بالنوح ابن سريج المغني، وقد عدل بعد ظهور الغريض إلى الغناء فعدل معه الغريض اليه ثم كان بنى أمية يشترطون في تقريب الرواية منهم أن يكون لمراثي العرب.[١٠٦]

وكان القائم برثاء المتقدمين منهم النصيب الشاعر، فكان إذا قدم على هشام ابن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي قومه، فإذا أنشده بكى وبكى معه. وكان يتقرب بذلك إلى مكوكهم وأمرائهم، حتى إنه لما دخل على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ابتدأه في الاستئدان أن ينشده من مراثي أبيه. عبد العزيز وقد عارض بني أمية في الولح بالرثاء شعراء الطالبيين ومن نبع بعد ذلك من هذه الشيعة إلى الوم.[١٠٧]

---

[١٠٥] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٨ .

[١٠٦] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٩ .

[١٠٧] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٩-١١٠ .

ومن طرق الرثاء الّتي أحدثها المتأخرون، مايرثون به الدواب والأثاث والأدوات، وقد مرت الإشارة إلى ذلك فيموضع آخر؛ ولكن القصيدة الهرية الشهيرة الّتي نظمها ابن العلاف الشاعر المتوفى سنة ٣١٨، وكان له هر يأنس به، وكان يدخل أبراج الحمام التي الجيرانه ويأكل فراخها، وكثير ذلك منه فأمسكه أربابها فذبحوه، فرثاه بها، وقيل إنه إنما رثي بها عبد الله بن معتزي وخشي من الإمام المقتدر لأنه هو الّذي قتله.[١٠٨]

فن سبها إلى الهر وعرض به في أبيات منها، ويقال بل كنى بالهر عن الوزير أبي الحسن الفرات أيام محنته، لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه. وقيل غير ذلك، وهذه القصيدة في ٦٥ بيتا، وهي معدودة من أحسن الشعر وأبدعه، وقد نقل زبدتها ابن خلكان في تاريخه، وللعلاف قصائد أخرى في الهر أيضا ولكن هذا أشهرها.[١٠٩]

من بعده هذا المدب، فعارض ابن العميد القصيدة الهرية من فتاعة، ونقل الثعالبي شيئا من قصيدته في اليتيمه، ولما نفق برذونه أبي عيسى المنجم بأصبهان وكان قد طالت صحبته له، أو عز الصاحب ابن عباد إلى الندماء المقيمين في حلبته أن يعزوا أبا عيسى ويرثوا برذونه، فقال كل منهم قصيدة فريطة، نقل الثعالبي مختارات منها، ثم شاء هذا النوع بعد ذلك وتقلبوا في أغراضه.[١١٠]

٣. مضمون الرثاء للخنساء في شعرها

كان الرثاء غرضا رئيسيا من أغراض الشعر. وتناول الشعراء هذا اللون من الأدب، فأكثر من النظم فيه.[١١١] والرثاء لغة من كلمة رثا رثوا الميت ومعناه بكاء

---

[١٠٨] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١١٠ .

[١٠٩] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١١٠ .

[١١٠] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١١٠ .

[١١١] جبور عبد النور، *المعجم الأدب*، (بيروت: دار العلم الملايين، مجهول السنة)، ص. ١٢١.

وعدد محاسنة ونظم فيه شعرا.[١١٢] فمعنى الرثاء في الإصطلاح هو تعداد مناقب الميت واظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة فيه.[١١٣] وأمّا في المعجم الأدبى الرثاء هو المدح، إلا إنه في الميت، أو الثناء الباكى إنّ شئت. وربما ظلت معانيه واحدة. يردّدها الشعراء على مدار عهود الأدب العربى.[١١٤]

فيجمع الشاعر بين التفجيع والحسرة والأسف والتهلف والإستعظام ثمّ يذكر صفات المدح مبلغة بالدموع. وظهر الفرق بين الرثاء والمدح كما قال القدامة: إنّه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ مايدل على أنه لهالك. ومن اجل ذلك لم يتبسطوا في معان الرثاء والفجيعة من (الموجودات) وما يتبع ذلك من درس العواطف المحزونة والبحث عن اماكن الألم في نفس الإنسان، كما كان ذلك عند اليونان، إذا كان من شعرائهم من تخصص للفواجع وعرف بصفات الحزن. "كاؤريبيدس" وغيره كما عند الغربيين، وأنهم مشهور بأبكى الناس، حتّى أن الرثاء من الصفات المميزة لأشعارهم، ويرجع ذلك الفص في العربى إلى اسبابه الطبيعية ممّا يتعلق بالبداوة والأخلاق التي تكون عنها وقدمر ذكر ذلك في مواضع كثيرة.[١١٥]

الخنساء أعظم شواعر العرب على الاطلاق. وشعرها مقطّعات كلّه، وهو فصيح اللفظ رقيق متين السبك رائق الديباجة. وقد غلب على شعرها الفخر قليلا والرثاء كثيرا لما رأينا من فجيعتها بأخويها خاصة. ورثاؤها واضح المعاني رقيق صادق العاطفة بدويّ المذهب على كثرة ما فيه من التلهّف والمبالغة في ذكر محامد أخويها.[١١٦]

---

[١١٢] لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، (بيروت: دار المشرق، الطبعة الحادية والأربعون، ٢٠٠٥ م)، ص. ٢٤٩.

[١١٣] أحمد الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثلاثون، مجهول السنة)، ص.٢٦.

[١١٤] جبور عبد النور، *المعجم الأدب*، (بيروت: دار العلم الملايين، مجهول السنة)، ص. ١٢١.

[١١٥] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، (بيروت: الدار الكتاب العربى، الجزء الثالث، مجهول السنة)، ص. ١٠٦.

[١١٦] عمر فروخ، *المنهج الجديد في الأدب العربيّ*، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م)، ص. ٨١.